﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩﴾

[الشّعراء: 167 - 169]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

موقفُ المرسَلين شفقةٌ وإحسان، وموقفُ المُرسَل إليهم تفريطٌ وعُدوان

بعد أن بيَّنت الآياتُ السّابقة لقوم لوطٍ ﷺ حقيقةَ رسالتِه ودعوته للإيمان، ونهيهم عن سلوكهم المنحرف، ناسبَ ذكرَ ما يتشوّفُ السامعُ لمعرفته، فبيّن موقفَهم من دعوته ﷺ، كيف استقبلوها بالصّدود والوعيد، حتّى يُثنوه عن دعوته، ويُرغموه على السّكوت، لكنّه ثبت على الحقّ، وأصرَّ على إنكار ما هم عليه من قبيح الأعمال، مُعربًا عن شِدّة كراهيّته ونفورِه من شذوذِهم ورجْسهم، ثمّ لمّا أيِسَ منهم، وتفاقَم شرُّهم، دعا اللّهَ أن ينجّيَه وأهلَه من خَبَثهم ودَنَسَهم، فهو انتقالٌ من بيانِ موقفِ الرّسول، إلى بيان موقف المُرسَل إليهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَنتَهِ﴾: أصلُ (نهي) يدُلُّ على غايةٍ وبُلوغٍ، ومنه أنهيتُ إليه الخَبَرَ: بلَّغتُه إيّاه، ونهايةُ كلِّ شيءٍ: غايتُه[1]، والانتهاءُ: الامتناعُ منَ الفعل المنهيِّ عنه، يُقال: نهاه عن كذا فانتهى[2]، والنَّهيُ خِلافُ الأمر، والنِّهاية هي الغاية والخاتمة التي ينتهي إليها الشَّيء، والمراد بالانتهاء في الآية: الكفُّ والامتناع، والمعنى: (لئن لم تَكُفَّ وتمتَنِعَ عن نَهينا وتقبيح أمرنا).

2) ﴿ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾: أصلُ (خرج) يدلُّ على النَّفاذِ عن الشَّيءِ، يُقالُ: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا، والخَراجُ والخَرْجُ: الإتاوَةُ؛ لأنَّهُ مالٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نهى).

يُخْرِجُهُ المُعْطي[1]، والإخراجُ ضِدُّ الإدخال، وأكثر ما يُقالُ في الأعيان، نحو: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون: 35]، والمُخْرَجُ بالضَّمِّ، قد يكون مَصْدَر قولك: أَخْرَجَهُ، أَي المصدر الميميّ، وقد يكون اسم المفعولِ به على الأصل واسْم المكانِ، أي يدُلُّ عليه، والزَّمان أيضًا، دالًّا على الوقْتِ، ومنه: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80][2]، والمُرادُ بالإخراج في الآية: الطَّردُ والإبعاد، أي: لتكونَنَّ منَ المطرودين من بلادنا.

3) ﴿ٱلْقَالِينَ﴾: أصلُ (قلو) يدُلُّ على خِفَّةٍ وسُرعةٍ، من ذلكَ القِلْوُ: الحِمارُ الخفيفُ[3]، والقالي: التّارك للشَّيء، الكارِهُ له غايةَ الكراهة[4]، والقِلَى: تجافٍ عنِ الشَّيء وذهابٌ عنه، وهو أيضًا: البُغض الشَّديد، وقَلَيْتُه أقليهِ قليًا: أبغضته[5]، مع سآمةٍ ونُفور، ومعنى﴿ٱلْقَالِينَ﴾ في الآية: المُبغضون المُنكرون.

4) ﴿نَجِّنِي﴾: أَصْلُ الإنجاءِ الخَلاصُ مِنَ الشَّيْءِ، نَجا يَنْجو نَجْوًا ونَجاءً، مَمدودٌ، ونَجاةً، مَقْصورٌ، وأَنْجَيْتُ غَيْري ونجَّيْته، واستَنْجَى منه حاجَتَهُ: تخَلَّصها، وانْتَجَى مَتاعَه: تَخلَّصه وسَلبَه، ومعنى نجَوْت الشيءَ: خَلَّصته وأَلْقَيْته، والنَّجاةُ: الخَلاصُ مِنْ ضُرٍّ واقِعٍ[6]، والنَّجوةُ والنَّجاةُ: ما ارتفَع من الأَرض فلم يَعْلُه السَّيلُ فظننتُه نجاءَك، والجَمعُ نِجاءٌ[7]، والمقصود بالإنجاء في الآية: جَعْلُ الغَيْرِ ناجيًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّنُ الآياتُ الكريمة موقفَ قومِ لوطٍ ﷺ من دعوته، كيف

الظّالمون يُسارعون إلى إخراج المؤمنين للخلاص من سماع المعروفِ والحقِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خرج).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (خرج).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قلو).
(4) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 99، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلو).
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (قلو).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.
(7) ابن منظور، لسان العرب: (نجو).

استقبلوها بصدودٍ وجَفاء! فقالوا له مُتوعِّدين: لئن لم تَكُفَّ عن الإنكار علينا، لتُصْبِحَنَّ منَ المُبعَدين عن بلدنا، المَطرودين منها، المحرومين من سُكناها، فأجابَهم ﷺ بثباتٍ وإصرار: إنّي منَ المُبغِضين أشَدّ البُغضِ لفِعلكم الذي يعتصر الفؤادُ حُزنًا، ويكتوي غضبًا من شناعته وفظاعته، ثمّ لمّا يئس منهم، وضاق ذرعًا بأفعالهم، توجّه لربّه طالبًا منه العِصْمةَ والنّجاةَ من شَرّهم، والخلاصَ مع أهل بيتِه من خُبْثِهم ومَكْرِهم، ومِن عقوبة الله التي ستصيبُهم.

وتُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى أنَّ التّهديد بالنّفي سنةٌ بشريَّةٌ قديمة، وإلى وجوب بُغْض الشّرِّ والفساد في أيّ صورةٍ من صورهما، وإلى أنَّ الأنبياء أولياءُ الله؛ يُحبّون ما يحبُّ، ويُبغِضون ما يُبْغِض[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ الفصلِ بينَ جُمَل الحوار:

اكتفاءُ قومِ لوط بالتّهديد والوعيد والحِقد البعيد

قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، إجابةٌ عن سؤال يتبادَر: فماذا كان جوابُهم؟ فالجملةُ استئنافٌ بيانيٌّ على طريقة فصْلِ جُمَل الحوار في القَصَص القُرآنيّ، فهي شِبه كمالِ الاتّصال، لذا حَسُن فصلُ الجملةِ الثّانية عن الأولى؛ لأنّها جوابٌ عن سؤال ينبثق عن سابقتها.

نُكْتَةُ التّعبير المجازيّ:

رضا السّاكتِ بكلام القائل مشاركةٌ له ومعاضَدَة

جاء فعلُ القول: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ مُسْنَدًا لجميع قوم لوطٍ ﷺ، والواقع أنَّ القول لا يصدر عن القوم جميعًا في وقتٍ واحد، وبلفظ واحد، فهو مجاز من إطلاق الكلِّ وإرادةِ الجُزء، ويدلُّ على أنَّ صدور القولِ عن بعضهم مع رضا البقيَّة صدورٌ عن الجميع؛ لرِضاهم عن مضامينه، وموافقتِهم عليه.

(1) ابن تيميّة، جامع الرّسائل: 2/ 387، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 677.

نوعُ اللّامين، وفائدةُ اجتماعِ الشَّرطِ والقَسَم:

(اللّام) الأولى في ﴿لَئِن﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ موطِّئة للقَسَم المُضْمَر، وتُسَمَّى اللّامُ المُؤذِنة، أي: المؤذنة بمَجيء القَسَم، والمعنى: (قسمًا لئن لم تنته)، واللّام الثّانية في ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ واقعةٌ في جواب القَسَم المُقَدَّر، وجوابُ الشّرطِ محذوف؛ لتَأَخُّر أداة الشّرط عن أداة القَسَم، وقد دلَّ عليه جوابُ القَسَم، وفي هذه الآية اجتمعَ القَسَم والشّرْط، والقاعدةُ: إذا اجتمع شرطٌ وقَسَمٌ وجاء الجواب واحدًا، كان للأسبق منهما، وأغنى عن جواب المُتأخّر.

التّوعّدُ والتّهديد بالتّأكيد اللّفظيّ تعنيفٌ وترهيبٌ بقصد تركِ الدّعوة

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿تَنتَهِ﴾:

الانتهاءُ: الكفُّ عنِ الشّيء مطلقًا فلا يعاوده؛ لذا جاء التّعبير بالانتهاء ﴿تَنتَهِ﴾ عن الوصول للنّهاية في شيء بلا رجعة، ومعنى الانتهاء: الامتناع منَ الفعل المنهي عنه، يُقال: نهاه عن كذا فانتهى[1]، ودلَّ هذا على أنَّهم نهَوْه قبلَ ذلك، فلم ينتهِ، فهدّدوه متوعّدين: لئن لم تَكُفّ عن "نهينا وتقبيح أمرنا، لتكونَنَّ من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا، ولعلّهم كانوا يخرجون مَن أخرجوه على أسوء حال: من تعنيف به، واحتباسٍ لأملاكه"[2].

طلبُ الانتهاء عن قول الحقِّ دليلُ الضّيق الشّديدِ والشّعورِ البليد

لطيفةُ إيثارِ النّفي على الإثبات:

النّهي عنِ الشّيء: الزّجر على فعله، وهو أقوى من الأمر بتركه؛ لكونه نهيًا صريحًا، والتّعبير بالنَّفي: ﴿لَّئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ أبلغ منَ الإثبات؛ لأنَّه يُفيد القطعَ والحسم والكفَّ المطلق عن توبيخهم، والإنكار عليهم.

النّفيُ أبلغُ منَ الإثبات، وهو أقوى من الأمر بالتّرك

دلالة نداء لوطٍ عليه السلام باسمه بأداة البعيد:

جاء النِّداء بأداة النّداء للبعيد في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نهى).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 330.

جـفـوةُ الجاهلِ ظاهرةٌ ولو أردتَ الخيرَ له

يَلُوطُ﴾، رغم أنَّه حاضر بينهم؛ لمعاملته معاملة البعيد، إقصاءً له، وإمعانًا في وعيده، وفيه ما يدلُّ على فظاظة، وجفْوة، وازدراء، مع جلالة قدره، ورفيعِ شرفه، فقد "وسموه باسمه؛ جفاءً وغِلْظَة، فقالوا: ﴿يَلُوطُ﴾"، وهذا يدلّ على جهالةٍ منهم وسَفَهٍ[1].

نُكْتَةُ الاعتراض بجملة النّداء:

التّـهـكُّـم بـلـوطٍ عليه السلام، والإمـعـانُ في وعيده

الأصل هو الاتّصال بينَ الشّرط والجزاء، فإذا وقع الاعتراضُ فلِنُكْتَةٍ؛ والغرضُ منَ الاعتراض بجملة النّداء ﴿يَلُوطُ﴾ التّهكُّم به، والإمعان في الوعيد وتغليظه.

بلاغةُ الإطناب في قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾:

الإطـنـابُ فائدةٌ بيانيَّة وتوثيقٌ لفظيّ

جاء التّعبيرُ عن وعيد قوم لوطٍ عليه السلام بإخراجه بقوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، دون أن يُقال: (لنخرجنَّك)، فعبّر بصيغة المضارع في ﴿لَتَكُونَنَّ﴾؛ لمناسبة القَسَم، وللتّوكيد بدخول نون التّوكيد المُشَدّدة؛ ففيه إمعانٌ في الوعيد؛ لتخويف لوطٍ عليه السلام وصرفه عن دعوتهم، وهو إمعانٌ في التّهديد، أي: سنخرجك كما أخرجنا مَن قبلَك، فالكلمةُ كلمتُنا، والقضاء قضاؤنا، كما أنّهم بهذا التّعبير جعلوا خروجه كأنّه وصمةٌ ستلْحَقُ به، كما يطرد الإنسان من بلاده، فيصبح شريدًا طريدًا، يهيم على وجهه في البلاد، يلتصق به وصف الطّريد، أينما حلَّ لا يزايلُه، فيُضيّق عليه أينما حَلَّ، وتهديدُهم له بالخروج كأنه عليه السلام سيعاقَبُ بذنبٍ اقترفه، ويعاملُ معاملةَ الجُناة المُذنبين، ويُضمّ إلى قائمتهم؛ وصمًا له بالجريمة، رغم أنّه دعاهم للخير والفضيلة، ونهاهم عنِ الشّرّ والرّذيلة، ولكنّه منطقُ أهلِ الباطل المعكوس، وفطرتُهم المنقلبةُ، فيتباهَونَ بالدَّنَس والخبثِ، ويمتعضون منَ الطُّهر والعفاف، ويقولون: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النّمل: 56].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 82.

دلالةُ استعمال ﴿مِنَ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ بيانيّةٌ، أي: لنُخْرِجنَّك من بين مَن أخرجناهم، لذنبٍ أو لغير ذنب، فدلَّ على أنّ هناك من أنكر عليهم فأخرجوه، أو من أخرجوه لغير ذلك من أسباب، فهذا دَيْدَنُهم، وقد يكون الإنكارُ عليهم من أصحاب الفضيلة من قومهم، فلم يبق فيهم إلّا الشَّواذّ، وخرج أصحابُ الفطرة السّليمة، أو مَنَ الرّسل ممّن لم يقصصِ اللّهُ تعالى علينا خبرَهم.

الإخـــراجُ مِـنَ الأرض دَيْـدَنُ الـظّـالـمين مـنَ الشّاذّين

غرضُ تعريف ﴿ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾:

التّعريف في لفظ ﴿ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ إمّا للاستغراق، أي: من أُخرجوا قبلَك بذنبٍ أو بغير ذنب، أو للعهد، باعتبار أنّهم معروفون مشهورون، سيتبادرون للأذهان عند ذكر هذا الوعيد، أي: مَن أخرجناهم قبلك، فالصّفة المذكورة، كالسِّمة للموصوف، ثابتةِ العُلوق به؛ كأنّها لقَبٌ، وكأنّه من طائفة صارت كالنّوع المخصوصِ المشهورِ ببعض السّمات الرّديئة[1].

يـــحـــرصُ الـظّـالـمون على تشويه سمعة المصلِحين

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ مادّةً وصيغةً:

دلَّ استعمالُ مفردةِ ﴿ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ على أنَّ لوطًا ﷺ ليس من بلدهم، فهو في نظرهم غريبٌ، ليس له عشيرةٌ ينصرونه، وهم يرون في إخراجه عقوبةً قاسية له، ولاسيما وهم يعيشون في قرية مزدهرة عامرة، ولم يقل: (الخارجين)؛ لأنَّه لن يخرج بمحض إرادته، بل سيُخْرَج رغمًا عنه؛ يخرجونه قَسْرًا، والخروجُ منَ الدّيار أمرٌ شاقٌّ على النّفس، وهو من أشدّ البلاء، كما أنَّه يومِئ إلى أنَّ هناك منَ المُخرجَين من سبق حين نهاهم عن ذلك، "فنفَوْه بسبب النّهي، أو مِنَ المُخرجَين بسببٍ غير هذا السّبب، كأنّه من خالفهم في شيء نفَوه، سواء كان الخِلاف في هذا الفعل الخاصّ، أم في غيره"[2]،

لا يـغـادِرُ رسلُ الـلـه تـعـالى أرضَـهـم إلّا بإخراجٍ أو لمطلبٍ شرعيّ

(1) ابن المُنيّر، الانتصاف: 3/ 330.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 184.

وهذا دَيْدَن الطّغاة المُجرمين، فقد قال فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشّعراء: 29]، وقال قومُ نوح له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشّعراء: 116]، وقال قومُ لوط له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، فأفصحَ المجرمون وأقرّوا بما سلف من جرائمهم، وصرّحوا بتماديهم، وتبجّحوا دونَ خجلٍ أو شعورٍ بذنب.

نُكْتَةُ الفصلِ بين جملة القول وما قبلها:

لـوطٌ يَصِـرُّ على إنكاره، غيرَ آبهٍ بتهديد قومه

قولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ جملةٌ مستأنفةٌ بيانيّة، فهي جوابٌ عن سؤال: فماذا قال لهم حين قالوا له ما قالوا؟ فبينَ الجُملتين شِبه كمال اتّصال، وهذا حوارٌ دار بين لوطٍ ﷺ وقومِه، أصرَّ لوطٌ على الإنكار عليهم، وأعلن الثّبات أمامَ تهديدهم له.

عِلّةُ التّوكيد وفائدتُه:

دفـعُ تـوهّـم أنَّ الـكـراهـيَـة لأشخاصهم لا لأعمالهم

جاءت جملةُ ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ مؤكَّدَةً؛ لبيان أنَّه باغضٌ لعملهم الذي اقترفوه، لا لأشخاصهم بأعيانها؛ فإنَّ الدَّعوة إلى الحقِّ وتركِ الباطل الذي عليه قومُ لوط ﷺ، تُثير في النَّفس أنَّه مبغض لأشخاصهم، وهو يُؤكِّد لهم أنَّ البُغض هو لهذا العمل الذي آثَروه على الفضيلة، والقيامِ بحقوق الفطرة الإنسانيّة.

معنى (اللّام) ودلالتُها:

كـراهَـةُ الـرّسـلِ ليست للأقوام، بل لأعمالهم

رغمَ وعيدِ قوم لوطٍ ﷺ وجَفوتِهم له، لكنّه لم يُظْهِر كراهيةً لذَواتهم، بل لصنيعهم فحسب، فاللّام في ﴿لِعَمَلِكُم﴾ للتّخصيص، أي: كراهيتي لعملكم وليس لأشخاصكم، ويمكن أن تكون اللّام متعلقةً بمحذوف، تقديره: إنّي لقالٍ لعملكم منَ القالين؛ لأنّ صلة الموصول لا تعمل فيما قبل الموصول[1]، فقولُه تعالى: ﴿لِعَمَلِكُم﴾

(1) الفارضيّ، شرح ألفيّة ابن مالك: 1/ 278.

يتعلّق إما بـ ﴿ٱلۡقَالِينَ﴾، وإن كان فيه (أل)؛ لأنّه يسوغ في المجرورات والظّروف ما لا يسوغ في غيرها، لاتّساع العرب في تقديمها، حيثُ لا يتقدّم غيرُها، وإمّا بمحذوف دلّ عليه ﴿ٱلۡقَالِينَ﴾، تقديرُه: إنّي قالٍ لعملكم، وإمّا أن تكون للتّبيين، أي: لعملكم، أعني منَ القالين[1].

بلاغةُ الكناية ولطفُها:

تنـوّعُ خطـاب المَدعوّين حكمةٌ ورفقٌ عزيز

جاء استعمالُ لفظِ العمل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ كنايةً عنِ الفاحشة، وهذا من أدبه ﷺ في الخطابِ، فأراد في معرض بيان بُغضِه لما يقومون به من الفاحشة نعتَه بالعمل - وهو عمل - ؛ للتّلطف في الخطاب بعد تشديده عليهم، وهذا من حِكمة الدَّعوة، والمراد بعملهم: "إمّا ما أنكره ﷺ عليهم من إتيان الذُّكران، وتركِ ما خلق ربّهم سبحانه لهم، وإمّا ما يشمل ذلك وسائرَ ما نهاهم عنه وأمرَهم بضِدّه منَ الأعمال القلبيّة والقالبيّة"[2]، فجميعُ أعمالِهم رذائلُ تستوجِبُ الإنكارَ، وتستحِقُّ البُغْضَ.

دلالةُ إضافةِ العمل إلى الضّمير:

جـمـيـعُ قـوم لـوطٍ متورّطون فـي الـشّـذوذ، راضـــون بـه، مستحلّون له

أُضيف لفظُ العمل لضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿لِعَمَلِكُم﴾؛ لبيانِ أنّهم جميعًا متورّطون في هذا الشّذوذ، منغمسون في مستنقعه، راضون به، مستحلّون له، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ هذا العمل هو عملهم الوحيد الذي يتقنونه، ويُعرفون به.

معنى ﴿مِّنَ﴾ ودلالتُها:

الإيماءُ إلى مدح الـقـالـين لـهـذا العمل

﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ بيانيّةٌ، أي: من جنسهم ومن بينهم، فهو واحدٌ منهم، فاللّه تعالى يمقت هذا العمل، والملائكةُ، وصالحو ذلك الزّمان؛ كنّبيّ اللّه إبراهيمَ وأهلِ بيته ﷺ، وصالحو كلِّ زمان، "وكونه بعضَ القالين يدلُّ على أنّه يبغض هذا

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 184، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 115.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 115.

الفعلَ ناسٌ غيرُه هو بعضُهم، ونبّه ذلك على أنّ هذا الفعلَ موجبٌ للبُغض حتّى يبغضَه النّاس"[1].

سِرُّ العدولِ عنِ الإفراد إلى الجمع في ﴿ٱلۡقَالِينَ﴾، وتعريفِه:

البُغضُ في الدّين يـقـوَى ليـبـلـغَ منـزلـةَ الـكـراهـةِ الجِبِلّيّة

آثَر النّظمُ الكريم العدولَ عنِ الإفراد "قالٍ" إلى الجمع ﴿ٱلۡقَالِينَ﴾، فقولُه: ﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ "أبلغُ من (قالٍ) لما ذكرنا من أنَّ النّاس يبغضونه، ولتضمنه أنّه معدود ممّن يُبغضه، ألا ترى أن قولك: زيد منَ العلماء، أبلغُ من: زيد عالِم؛ لأنّ في ذلك شهادةً بأنّه معدودٌ في زُمرتهم"[2]؛ وليُبيِّن أنَّ كراهيَةَ هذا الأمرِ ليس من جهته فحسب، بل كلُّ عاقلٍ زكيٍّ يُبغضُ هذا الفعلَ الخسيس، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه بلغ النّهاية في بُغضه المقيت لعملهم الشّنيع، ونسبةُ لوطٍ ﷺ نفسَه إلى القالين؛ اعتزازًا بهم وانضواءً لهم، ردًّا على تباهي قومِه بفعلتهم، وتعصّبهم لها، ولا شكّ أن كلّ غيورٍ أبيٍّ متى سمع عن فعلتهم – وقد اشتُهروا بها – ذمّهم وأبغضَهم، وقد افتُضِح أمرُهم بينَ القرى، وشاع خبرُهم، "وقد تقوى همّةُ الدّين في دين الله حتّى تقرُبَ كراهتُه للمعاصي منَ الكراهة الجبلّيّة ممّا يعملون من عقوبة عملهم، وهو الظّاهر"[3].

فنُّ بديعِ الجِناس:

الجناسُ اللّطيف ما اجتمع فيه بلاغةُ المعنى وجمالُ العبارة

من بديع هذه الآية التّجنيسُ بينَ ﴿قَالَ﴾، و﴿ٱلۡقَالِينَ﴾، وهما كلمتان راجعتان إلى أصلٍ واحد في الاشتقاق، وإنِ اختلفتا في المعنى، وهذا منَ المحاسن البديعيّة، إذ جمع بينهما شِبه الاشتقاق من جهة اللّفظ لا المعنى، فضلًا عن بديع التّصدير أو رَدّ العَجُز على الصّدر، حيثُ وقعت إحدى الكلمتين أوّلَ الآيةِ، والأُخرى في آخرها، ويُضاف

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 331، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 526، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 184.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 331، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 526، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 184.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 331.

لذلك من جماليّات البديع رعايةُ الفاصلة[1]، ويُسَمّى جناسًا مُذَيّلًا؛ لزيادة الكلمة الثّانية عن الأولى بحرفين: الياء والنون: ﴿قَالَ﴾، (قالين)، ومطرّفًا لوقوعه في آخر الآية[2].

غرضُ الأمرِ في طلب النّجاة وبلاغتُه:

الضَّراعةُ والتَّوسّل إلى الله تعالى

الأمر في قوله تعالى: ﴿نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ للدّعاء والابتهال، تضرّع لرَبِّه مُناديًا أن يُنجيَه وأهلَه من سوء عملِهم، ومَغبّة ذنوبِهم، وقبيحِ صنيعِهم الذي يُجاهِرون به، فكيف يساكنُهم في تلك القريةِ الظّالمة، وفي قوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي﴾: استعطافُ المولى ﷻ والتّوسلُ إليه بربوبيّتِه له، أي: يا خالقي ورازقي وراحمي وحافظي، نجّني وأهلي من شُؤم معصيتِهم، ومِن تبعتِها، كَرِهَ البقاءَ في هذه القريةِ التي صارت مستنقعًا آسِنًا، تفوحُ منه رائحةُ الذّنوبِ الكريهة، وأمسَت مسرحًا للعَبَث والمُجون والتّعرّي والشّذوذ.

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿نَجِّنِي﴾:

كرهَ المقام بينهم لما يرتكبونه من منكرات

جاء الدُّعاءُ بلفظ ﴿نَجِّنِي﴾ دونَ الحفظ، فلم يقل: (احفظني)؛ كي يخلِّصَه اللّهُ منهم؛ لأنَّ الحفظَ قد يتمُّ وهو بينَهم، لكنّه كَرِه المقامَ بينَهم لما يرتكبونه من فُحْشٍ وبَذاءٍ تُنكرُه النّفوس وتأباهُ، فكيف يرضى مجاورةَ هؤلاء الشُّذاذِ الفُسّاق؟

فائدةُ عطفِ الأهل على ضمير المتكلّم:

حِرصُ الرّسلِ على أهلهم كحِرصهم على أنفسهم

الواو في قوله تعالى: ﴿نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ للعطف، ويقتضي الاشتراكَ في الحُكم، أي: نجِّني ونجِ أهلي، أو للمصاحبة والمَعيّة، أي: مع أهلي حالةَ كوني معهم لا أفارقُهم، ولا يفارقوني، ففيه بيانُ حرصِ الرُّسل على أهلهم، وجاء العطفُ مباشَرًا دونَ فصل، فلم يقل: (نجني مما يعملون وأهلي)؛ احتراسًا من أن يَدْخُل أهلُه فيما طلب النّجاةَ منه،

(1) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 430، والإسفراييني، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: 1/ 115.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 180.

وكذلك حتّى لا يفصلَه عن أهله فاصل، فهو مُهتمٌّ بنجاتهم، كما هو حريصٌ على نجاة نفسه.

معنى (من) ودلالتُها:

جمالُ التّوريَةِ، وروعةُ الكناية، من أدب الدّعاء

(من) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بيانيَّة، أي: من جميع ما يعملون؛ فعملُهم كلُّه شُؤمٌ وشرٌّ، قبيحٌ بغيضٌ، أو تبعيضيّةٌ متعلِّقة بمحذوف مُقدَّر، أي: من عقوبة عملهم[1]، وقد دلَّ الجواب على الأمرَين، فإنّ إخراجَه سالمًا معافىً من هذه القرية بإذن ربّه، وإهلاكَ أهلِها، نجاةٌ له من شَرهم وشُؤمهم وخُبثهم، ونجاةٌ له من عقوبتهم، والمُختارُ القولُ الأوّل؛ لأنّ نجاتَه من عذابهم أمرٌ معلومٌ، لا يحتاج لطلبٍ.

نوعُ (ما) ودلالتُها:

تحتمل الموصوليَّة والمصدريَّة

(ما) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ تحتمل أن تكون اسمَ موصول بمعنى (الذي)، أي: من جميع ما يعملون، فكلُّ أعمالِهم شنيعةٌ منكرة، وتحتمل أن تكون مصدرية وما بعدها مؤوّلٌ بمصدر، أي: من عملهم، وروعيَ في ختام الآية الفاصلة، فضلًا عن أدبه وتنزُّهه عن ذِكر فحشِهم، فعَبّر بالعمل.

بلاغةُ التَّعبير بلفظ ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

براعةُ اجتماعِ اختيارِ المفردة والصّيغة والنّظم في اللّفظ الواحد

كنّى عنِ الفاحشة بقوله تعالى: ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ دونَ تصريحٍ بها؛ من حُسن أدبِه، وعِفّةِ لسانِه، ولطفِ بيانِه، وللتّعميم، كذلك ليشملَ كلّ أعمالِهم، وكلّها منكرةٌ، وجاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع؛ لبيانِ عنادهم وإصرارهم عليها، مع إقامة البرهان على استحقاقهم العذاب؛ فإنّ المعاند يستحِقُّ شديدَ العقاب على عناده على الباطل، وممّا يزيد منَ التَّشنيع عليهم، إسنادُ ارتكابِهم جميعًا لهذا المنكر الذي شاع فيهم، وتفشّيه، كالوباء الذي لا يَتركُ أحدًا، كما أنَّ المفعول قد حُذف لمعرفته.

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 17/ 112، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 408.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإخراج والطّرد:

الإخراج يقابله الإدخالُ، قد يكون قسرًا، وقد يكون باختيار، أمّا الطّرد: فهو إخراجٌ من صحبة أو من بلدة أو من عملٍ، والطّرد كذلك: مطاردةُ الصّيد ومعالجة أخذه، والطّريدة: الصّيد، وطرد الشّيءَ يطردُه طردًا، هيّجَهُ واستفزّه وأبعدَه، وفي القرآن (طرد) وكذلك (شرّد)، قال تعالى في قصّة نوح: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ [هود: 30]، ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾ [الأنعام: 52]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ [الأنفال: 57]، أي: فرِّق وبَدِّد جمعهم، والشّريد: الطّريد[1]، وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ أي: ممّن أُخرج قسرًا وكُرهًا؛ تنكيلًا به، ونكايةً به.

الإخراج أعمُّ من الطَّرد، فيختصّ الطَّردُ بكراهيَة المطرود واستفزازه

القِلَى والكُره:

القِلَى: شِدّةُ الكراهيَة، إلى حَدّ اكتواءِ الكبد واحتراقِ القلب من شِدّة الكراهيَة وفَرْط النّفور، كأنّهما على مِقلاة، فهي أبلغُ من الكره، والشّيءُ الكَريهُ، الذي لا يُكره إلّا لشَرّه أو لقُبْحِه أو خُبْثِه، فالكراهيَةُ: شعورٌ ينتاب الإنسانَ لشخصٍ أو شيءٍ ينفر منه، كمَن يكره طعامًا أو دواءً، وإن كان فيه خير، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: 216]، والإكراه: لا يكون إلّا على شيء يكرهه الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النّور: 33]، وقال

القِلى شدَّةُ الكراهيَة، والكراهيَةُ أعمّ من ذلك، فتكون في الخير والشَّرِّ

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (طرد).

تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: 106]، وقولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾، أي: المُبغِضين لفعلكم القبيحِ أشدَّ البُغض، الكارهين له كراهيَةً جِبِلّيّةً.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»